ما ذنب الأبرياء؟

عنوان الكتاب: ما ذنب الأبرياء؟

الكاتبة: منال طالب

الناشر: ماروشكا للنشر والتوزيع

ISBN: 978-9969-556-46-9

الطبعة الأولى: فيفري 2025

المدير العام: بن وارث أمال

لمراسلة الدار:

إيمايل: marouchka.edition@gmail.com

هاتف: 213698670203+

العنوان: تحصيص تاقوفت توسيع رقم 17 ـ أم البواقي ـ الجزائر

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر، وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن منه.

ما ذنب الأبرياء؟

منال طالب

دار الوشم
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى عزيزتي أمي، التي لم تبخل في إظهار حبها لي ودعمها لموهبتي.

إلى أخواتي: (صابرين) الأخت القوية التي صمدت أمام صراعات الحياة، (سيرين) الأخت الحنونة الشجاعة التي استطاعت أن تنضج في وقت مبكر وتحقق العديد من الإنجازات. أنا فخورة جدًا بهن.

إلى كل روح طيبة كانت داعمة لي معنويًا طوال مسيرتي، إلى أصدقائي وأحبتي، أود أن أقدم لهم خالص شكري.

وإلى تلك الأرواح البريئة التي فتحت لي أبواب جروحها، حيث تمكنت من الاطلاع على دواخل ذواتهم الجريحة. قصصهم التي فتحت لي آفاقًا واسعة لأتعلم الكثير من دروس الحياة وأستلهم منها العبر. بفضلهم، استطعت اليوم أن أخطو هذه الخطوة و أدون بقلمي كتابًا يضم قصصهم المؤلمة التي تمس القلوب.

مقدمة

«عادة ما تترك العواصف مخلفات، البعض يقوم بإزالتها وحرقها وآخر يعيد تكريرها، وهناك مجموعة تختار أن تسكن فيه للأبد!».

- جلال الخوالدة -

لا شك أن الحياة رحلة طويلة لا نعلم إلى أين تقودنا ومتى ستنتهي هذه الرحلة ونعود، لكن أين سنعود؟ لا ندري إن كانت حقيقة أم أنها وهم أو ربما الحياة مجرد حلم عجزنا أن نصحو منه..

هل هي حقا نافذة السعادة أم أنها دار الهزائم؟! سنرى...

أعلنت قبل قليل في السطور الأولى عن ماهية الحياة، ولا شك أنها أعطت للقارئ لمسة وصورة واضحة في مقدمة الكتاب، لأنه وبمجرد أننا ننطق باسم الحياة تلهمنا القراءة وتقودنا إلى الكثير من التساؤلات التي نريد الإجابة عنها وكشف خباياها.

ما ذنبنا نحن؟ أنا وأنت أيها القارئ.. كلنا نغرق في قاع هذا السؤال «ما ذنب الأبرياء؟»، هل كنا حقا أبرياء وضحايا في قصصنا؟ سنرى في هذا الكتاب الذي يحمل في طياته قصص الجرحى البريئة التي لا ذنب لها.

أردت نظم هذا الكتاب ولأول مرة لأشهد تحولي من قارئة إلى كاتبة، سوف تقرأ أغلب العيون كلماتي لتلتمس ذاك الإحساس النابع من الأعماق بهدف إحياء تلك المشاعر الدفينة. ولكل إنسان ضاع وضيّع نفسه، أتمنى أن تصادف نفسك من جديد في صفحات هذا الكتاب وتستشعر الرسالة العميقة التي يحملها.

تنويه

في هذا الكتاب لن أتطرق إلى ذكر أسماء الأشخاص الذين سأكتب عن قصصهم احترامًا لخصوصيتهم وحفاظًا على سرية تجاربهم، لأنني أُؤمن بأن حماية خصوصية الأفراد تعزز من قيمة القصص وتجعلها أكثر تأثيرًا.

شريط الحكايات

هل شرائط الحكايات المُعْلَنة هي الحقيقة؟

لكل منا حكاية طافحة بالخبايا، لكن ليست كل الحكايات تشبه القصص الخيالية التي نشاهدها.. القصص التي تكسوها السعادة ويعم الفرح في جميع تفاصيلها.. الواقع ينفي هذا الخيال الواسع الذي لمسناه في تلك القصص.

لكل منا حكايته، حكاية مزيفة نحن من ألفها وأبدع برسم صورة مثالية لأبطالها، وإبدال أحداثها بإعادة كتابة سيناريو آخر لا يطابق السيناريو الذي نعيشه! حيث بدأنا بنقش تفاصيله كما نشاء، إذ بنا نجد أنفسنا منغمسين في الدور لنتقمصه ونستمر في عيش هذا الدور وكأنه هو الحقيقة المعاشة.. وأصبح كل منا يصدق هذا السيناريو الزائف!

تختبىء وراء هذه الحكاية المزيفة حكايتنا الحقيقية أي واقعنا المعاش.. الواقع الذي لم نتواطأ معه يوما، مستمرين في رفضه دائما غير راضين به.. ويا ليتنا نستطيع استعاضته بواقع أجمل!

تختبىء وراء أبواب هذا الواقع أحداث مريعة، يحمل كل باب أسرارا دفينة، دفنت معها أرواحٌ بريئة داخل قفص عميق مفعم بالقيود.. القفص الذي ألبسهم دور الضحية ليصبحوا بالفعل ضحايا لا أكثر.

يطلق اسم الضحية على كل إنسان لحقه ضرر أو نشبت جريمة بحقه، جعلته بالفعل يقف كضحية أمام المجتمع.. وكلنا نعلم أن لكل ضرر أو جريمة فاعل أي ما نسميه بالمجرم أو المذنب!

وهذا ما سنراه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

رحلة البحث عن قاتل البراءة

من هو المذنب الحقيقي؟

لكل منا قصة تختلف عن الأخرى، ولكل شخص معارك خاضها في باطن قصته، وشهد أحداث يعجز العقل عن استيعابها.

جميع القصص تحمل في طياتها الكثير من الخبايا، وغالبا ليست الحقيقة كل ما نراه أو ما يُحْكَى لنا، ربما الحقيقة في ما هو مخفي عن الأعين!

أحيانا تكون الحقيقة ثقيلة جدا على قلوبنا لدرجة أننا نخجل من الاعتراف بها أمام الآخرين، ونبدأ بتكرير السؤال نفسه على أنفسنا «ما الذي جعل حياتي بائسة هكذا؟!».

أي السؤال الأصح «من الذي أَشادَ حياتي بهذا الشكل الأعوج؟!».

تبدأ التساؤلات تحتشد داخلنا، «ما الذنب الذي اقترفته للعيش في هذا النفق؟ ولماذا أنا؟ لماذا لم أحظى بعائلة دافئة؟ لماذا لم أتلقَ الرأفة والحب الكافي من قبل عائلتي؟ أم أنني شخص لا يستحق الحب!! ربما أنا من أساء لهم.. ربما أنا مجرد طفل سيئ.. ربما كان الذنب ذنبي!!

أغلب الضحايا تحشد في أذهانهم كل هذه الأسئلة، قد يحاصرونها بإجابات بعيدة عن المنطق بغية التماس العذر

للمؤذيين حولهم، ظنا منهم أنهم قد عثروا على الحل وأن الذنب ذنبهم، وهم أشخاص لا يستحقون الحب وانتهى.. وتلتصق في أذهانهم فكرة أنهم أشخاص مَنْبُوذون لا يمكن لأحد أن يُكِنّ لهم مشاعر حب ولا قبول!

تختلف القصص وتتعدد أشكالها وتتلون الصراعات ويبقى الألم واحد!

لكن من المسؤول عن هذا الألم؟!

برأيي أن الألم الحقيقي يُولد في مرحلة الطفولة، وكلما تزعزعت طفولة الطفل و هُدِمَت كلما كان الألم أعمق.. لا نستطيع التماس هذا الألم ونحن أطفال، مجرد براءة تتحرك لا تدري حتى ماذا يعني الألم، لأن الطفل بمثابة صفحة بيضاء، ففقدانه لعبة من ألعابه يعتبره شكلا من أشكال الألم الحقيقي، وذهابه للمدرسة إجبارا يعتبره مصيبة ومأساة حقيقية.

كأن هذا الألم يبقى نائما إلى أن يحين وقت استفاقته في الوقت المناسب أي في المرحلة المهمة من حياتنا ألا وهي مرحلة المراهقة.

وكأننا ندفع الثمن كلما كبرنا!

ونعود للسؤال المطروح «من المسؤول عن الألم؟».

عميقة جدا هذه العبارة والتي أثارت انتباهي أكثر العبارة المُعْلَنة بعدها تقول « كلما تزعزعت طفولة الطفل وهُدِمَت كلما الألم كان أعمق»! عبارة عميقة بقدر ما هي مؤلمة!

لطالما تعتبر الطفولة أمانة بيد كل الآباء والأمهات، لذا يجب الحفاظ عليها ورعايتها بشكل حريص.

كل ما يحتاجه الطفل هو حضور والديه دائما معه معنويا، وبقاؤهما بجانبه ورسم أجمل صورة لطفولته وتلوينها بلمسة من حبهم وعطفهم، ومن الضروري إظهار الدعم له ونشر الألفة في كل زاوية من زوايا البيئة المحاط بها.

يتغذى الطفل وينمو بالحب والرعاية والاهتمام الذي يقدمه الأب والأم، وإذا لم يحصل على غذائه الكافي (الحب)، لن يستطيع أن ينمو بشكل سليم وإنما سوف ينمو مريضا!

الحب والاهتمام والرعاية غذاء كل طفل، وإذا لم يتم إشباعه بالشكل الكافي وهو صغير، سيظل جائعا طيلة حياته.

وهذه بحد ذاتها تعتبر جريمة بحق البراءة!

وطبعا الاتهام ينسب الآن إلى المسؤولين الوحيدين لا غيرهم ألا وهما «الوالدان».

ماذا لو كان المؤذون هم والداك؟

الطفولة كالربيع، والأطفال هم أزهار هذا الفصل البديع.. لذا تعتبر الطفولة من أجمل فصول الحياة وأهمها، وبداية مشوار كل طفل..

تتفتح أجنحة الأطفال في مرحلة الطفولة مثلما تتفتح الأزهار في موسم الربيع.

ولا شك أن الطفولة المرحلة التي يتم فيها بناء شخصية الطفل.. فإما سيُبنى سليما أو سيُبنى عليلا، وهذا أكيد يرجع للأبوين!

يلعب الأب والأم دور الساقي لأبنائهما، واجبهما سقي أزهارهما (أطفالهما) والاهتمام بهم برعاية، لأن الأطفال كالأزهار إن لم تُسقى كل يوم حتما سوف تذبل!

لابد أن نزيح استحالة أن الآباء يخطئون، والأمهات يقترفن أخطاء ويظهرن بعض القساوة ويسئن التصرف بحق أبنائهن، لذا يجب أن نتقبل فكرة أن الوالدين كغيرهم من البشر، يخطئون كذلك لكن هذا لا يشير إلى عدم حبهم لنا.

لكن للأسف، هذا لا ينفي الصفحة المظلمة المتعلقة بهذا الأمر!

الفكرة الثانية التي تؤكد حقيقة وجود والدين مؤذيين.. وهذه ليست باحتمال بل هي حقيقة جارحة للكثير منا، وقد شاعت بكثرة كما أنها أصبحت أمرا نصطدم به في مجتمعنا داخل الكثير من القصص والحكايا.

حين يروي لنا أحدهم عن تعرضه للأذية من قبل والديه، ويصف لنا أشد وأقسى أنواع المعاناة التي تعرض لها، فجأة يمسنا ذاك الألم، لأننا حينها نجد أنفسنا في طيات معاناته ونتحسر لأننا نتشارك القدر نفسه!

أحيانا تكون مطمئنة فكرة أن تجمعنا الأيّام مع أشخاص يربطنا بهم القدر المشترك، حيث نطمئن ونرتاح قليلا.

ربما لقاؤنا بهم ليس بصدفة وإنما لتذكرنا الحياة بأننا لسنا وحدنا من يتألم ويعاني.. نطمئن بمجرد معرفتنا بأن الواقع المؤلم «أذى الوالدين» ليس محصورًا في تجربتنا وحدنا.

ربما يأتينا الأمر غريبا! «كيف لأبي أن يعاملني هكذا؟ لماذا يمقتني؟ لماذا لم يشعرني بذرة أمان؟ أليس الآباء هم الأمان! كيف لأمي أن تقسو علي؟ أليست الأمهات هن الحب، هن الحنان، هن الشعور بأكمله! هل بإمكان أم أن لا تشعر بأطفالها؟ هل حقا يوجد أب مدمر لأبنائه؟ هل يمكن للأب أن يكون وحشا حقيقيا؟

والإجابة نعم للأسف.. رغم أنها حقيقة يصعب تصديقها وتقبلها! تجعلنا نستمر دائما في الإنكار مع بحثنا المضني على أعذار تشفي جرحنا العميق!

للأسف الشديد مهما بحثنا عن أعذار، نجد دائما أنفسنا تصطدم بالحقيقة المؤلمة، والتي تعتبر الكابوس لكل منا، لا يمكن إنكارها أو تجاهلها بأعذار تفتقر للمنطق!

قاتلو البراءة

جرح الوالدين يعتبر الصفعة الموجعة لكل إنسان في هذه الحياة، هو بمثابة العاصفة القوية التي تعصف على قلوبنا.. هذا الجرح هو الثمن الغالي الذي يدفعه الأبرياء.. ويبقى هذا الجرح الوجيعة الكبرى لنا!

في هذا الفصل من الكتاب سأشارككم شرائط بعض القصص الواقعية القاسية التي قد وقعت بالفعل.. وسأنقل لكم بعض الأحداث المريعة التي قد تؤثر في قلب كل قارئ!

قد تختلف كل قصة عن الأخرى، ويجمع بين هذه القصص صدى الألم الواحد ألا وهو «جريمة الوالدين في حق البراءة».

باب الحكايات

أب عديم الأبوة

يُقَال أن الأب هو العمود والركيزة في كل عائلة، والركن الأساسي داخل عش أطفاله، هو الحماية والفكرة الآمنة، ومصدر الأمان الذي يستمده الأبناء.

وعلى الأب أن يكون بمثابة الطمأنينة المطلقة لأبنائه لا العكس!

بحيث يرى ابنه فيه مصدرا يقتات منه، يراه قدوته في الحياة، يرى فيه البطولة وقد يستمد منه القوة والشجاعة، ويريد دوما الأخذ ولو قليلا من مروءته وحماسته، لأنه يراه الأب المثالي ومثله الأعلى.

وقد تراه ابنته الحضن الدافئ الذي تتضرع إليه كلما مسها الخوف.. تعتبره الجبل الذي تستند عليه عند كل ضائقة.. واليد القوية التي تمسكها لتشعر أنها بأمان.. في ظنها أن لا خوف عليها وهي بين أحضانه!

لكن ماذا لو كان الأب صورة معكوسة تماما عن ما ذكرته للتو؟

ماذا لو كان مشابهًا للدمار وشقيق الخراب؟ ماذا لو أنه هو الرعب والفزع، ويشبه البركان الخامد الذي قد ينفجر في أي لحظة؟!

ماذا لو كان هو بحد ذاته الفكرة المخيفة؟

تقول إحداهن:

(الضحية رقم ١)

أخاف كلما اقترب مني أبي.. أشعر بضيق كلما ذُكِر اسمه.. وأختنق في كل مكان يجمعنا معا.. طيلة حياتي وأنا أحاول جاهدة أن أمحي من ذاكرتي صورته اللعينة ووجهه المُفْزِع وملامحه القاسية، لكن كل محاولاتي باءت بالفشل.. تلك الذكريات اللاذعة لم تُمحَ، يبدو أنها ستظل عالقة داخلي..!

لقد سئمت من وجوده معنا وسماع صوته المقلق.. أشمئز من كلامه البذيء المشحون بالألفاظ النابية التي ينطقها لسانه، وتنسكب من فاهه كالسم في أذني.. كنت أرى كل شيء يحدث حولي لكن أتجاهل عمدا.. كنت أتناسى لكن لم أنسَ أبدا الأذى الذي ألحقه بي، لو كان باستطاعتي محو أثره كليا من ذاكرتي لفعلت، لكن ما باليد حيلة غير الصبر على هذا العذاب.

يبقى أبي وجيعتي الكبرى، لذا أسميته الجرح الذي لا يندمل!

هذا كان أول شريط مؤثر لحكاية واقعية لضحية من الضحايا، قد استطاعت أن تصورها لنا من بداية السطور الأولى فقط بكلماتها التي تلذع قلب كل قارئ.. فما بالك إذا واصلت هذه الفتاة في سرد قصتها الكاملة لنا! وما الذي سيحدث يا ترى لو أكملنا الحكاية ووصلنا لآخر سطر ولآخر كلمة؟!

دعوني أوضح لكم تفاصيل القصة بشكل أدق. كانت هذه القصة من بين القصص الواقعية التي عاشتها فتاه شابة أي ضحية جرح الأب.. تبلغ من العمر ٢٣ سنة، كانت ابنته الأولى.. والفرحة الأولى لوالدتها التي محت لها أحزان الماضي.. تشبه الربيع المزهر بعد قساوة الشتاء.

لكن لماذا لم نذكر والدها بعد! ماذا عنه! للأسف لم تكن شيئا مهما بالنسبة إليه، اعتبرها كقطعة قماش جديد أحضرته الأم للتو.. ذنبها الوحيد أنها خُلِقَت أنثى، في نظره هي من ستجلب له العار والسمعة السيئة مستقبلا..!

كان أبا جاهلا بالعطف والرحمة.. ناكرا للحب.. متعصبا ومتشددا.. صاحب أفكار وحشية..

يبدو شكله كأنه وحش يريد تدمير كل شيء، ملامحه قاسية ومخيفة لا تقربها الطمأنينة أبدا.

أكتب وقلمي يتحسر بعد تدويني هذه السطور.. يقف العقل عاجزا عن الاستيعاب والقلب يذرف دموعه من قسوة أب..!

كيف لأب أن يحمل ابنته الأولى بين يديه من باب تأدية الواجب لا رغبة منه بذلك! كيف لقلبه أن لا ينبض عند رؤية ملاك صغير، وروح بريئة بحجم العصفور وهي تنظر إليه نظرة براءة.. كيف لقلبه أن لا يرفرف فرحا آنذاك عند رؤية تلك

الملامح الرقيقة.. كيف استطاع أن يمنع نفسه من شم رائحة ابنته للوهلة الأولى.. بدل أن ينظر إليها نظرة احتواء أبكاها بنظرته القاسية وكأنه بعينيه يهددها!

يُقَال كلما كبرت الفتاة تزداد حاجتها لوالدها أكثر..

نعم لقد كانت بأمس الحاجة إليه، كانت بحاجة للارتماء في حضنه، وكلمة طيبة منه تجعلها تزهر عاما كاملا.. اشتهت فقط ولو لمرة واحدة أن تمسك يده دون خوف أو تردد.. أرادت أن يحتضن خوفها ويضمها إلى صدره ليزول تعبها ولو قليلا، حينئذ ستشعر بالاطمئنان للأبد.. لكن ما فعله هو جعلها تفتقر للأمان، تظل خائفة دائما، متوخية الحذر، فاقدة الثقة في الناس حولها، خصوصا الشباب والرجال.. ظنا منها أن الجميع يشبه والدها.. صنع منها شخصا يهاب الاقتراب من أي أحد.. جعلها تشعر أن كل ما في العالم الخارجي غير آمن.. مخيف وقاسٍ.. أصبحت لا تأمن لأحد!

ورغم احتياجها الشديد لوالدها.. إلا أنها فتاة ذات كبرياء عظيم، لا ترضى أن تنحني أو تظهر ضعفها لأحد.. من يراها للوهلة الأولى يظنها قوية صنديدة لن تُهزَم أبدا، لكن داخلها فتاة ضعيفة هشة تستغيث، تطالب بوالدها لملء ذلك الفراغ الذي تركه فيها.. لكنها داست على وجعها ومضت..

كلما كان يبرحها ضربا كانت تنظر إليه نظرة حادة توحي بالغضب الشديد والكره العظيم.. كانت عيناها تصرخ بأعلى صوت «أنا أكرهك».

كلما كانت تتقدم في العمر كلما تراكمت العقد فيها.. جعلها والدها عبارة عن كومة من العقد النفسية.. كانت تشعر وكأنها سجينة حُرمت من الحرية.. ظلت مربوطة بحبل القيود الذي وضعه لها!

«إياك أن تفعلي هذا.. سأعاقبك إن فعلتِ.. إياك أن تقولي ذلك.. إياك أن تلبسي هكذا.. إياك أن تكلمي ولدا.. هذا الكلام ممنوع.. دراستك لن تنفعك في شيء.. لا تدرسي.. أنت بنت عاقة.. ليتك لم تخلقي أبدا..».

كان دوما يتفوه بالكلمات الجارحة لها دون أن يرف له جفن.. كان هو الأب المسيطر وهي البنت الخاضعة لنظامه والسير وفق قوانينه!

لقد سلب منها طفولتها، براءتها، ثقتها وحريتها.. كيف لها الآن أن تلملم شتات نفسها المبعثرة وقلبها المكسور!

بفضله أصبحت ترفض كل من يتقدم إليها وكل من يتودد لها.. كانت ترفض الحب لأنها لاتزال تلك الجريحة التي لم تُشفَ بعد.. لاتزال آثار الضرب على جسمها والندوب مدفونة داخلها..!

كلما كانت تنشب مشكلة ويعم الصراخ في البيت، تنظر لوالدتها نظرة لوم وكأنها تلقي بكل التهم عليها وتخبرها أنها السبب في كل ما يحدث، بسبب اختيارها الخاطئ واستمرارها في علاقة مع شخص غير صالح أن يكون لا زوجا ولا أبا!

أما عن أمها المسكينة فكانت مجرد عَبْدَة لزوجها، تخدمه وتلبي كل طلباته بغية تحقيق رضاه والوصول للكمال في عينيه، لربما سيحبها بعد كل تضحياتها له ويتغير يوما ما معها.. مسكينة لا تعلم أنها بذلك هي تعطيه الفرصة ليدمرها وينفر منها أكثر.

أهلكت نفسها وهي تحاول، جعلته ينظر إليها نظرة إهانة واحتقار.. لم يرها زوجة له بل امرأة خاضعة له ومطيعة لأوامره لا أكثر.. بالنسبة إليه كانت المرأة التي من خلالها يستمد قيمته المكذوبة وتفرده المصطنع وبريقه الباهت..!

يرى أن سيطرته قوة، وتسلطه رجولة، وتحكمه حق.. يا له من جاهل، عديم المسؤولية.. رجل ذو شخصية اعتمادية، يلقي كل الحِمْل عليها.. وهي المسكينة تقع كل المسؤولية على عاتقها، لم تجد زوجا يساندها.. يا لها من أم صبورة وزوجة مطيعة فقد ظلت تتحمل وهي متقمصة الدورين.. دور الأم والأب معا..!

لكنها بدل أن تضع حدا لهذا الظلم والتعسف، استمرت في تعظيم زوجها وتبجيله رغم أنه لا يستحق منها ذرة واحدة من الشكر والثناء..!

ترى أن أفعاله مُبرَرة بعنوان الرجولة، تخبر بناتها أن جميع الرجال هكذا يجب على المرأة التحمل فقط.. والعبارة الشهيرة لديها «الرجل يبقى رجلا»..

هذا ما كان يثير غضب ابنتها ويشعرها بالعجز، وهذا كان دافعا قويا كفيلا بجعلها تمقت كل رجال العالم..!

اعتادت أن تدافع عن نفسها بنفسها، لا تنتظر من أمها أن تفعل.. كانت مدركة بأن أمها أضعف من أن تقف في وجه زوجها وتواجهه أو تصل إلى حل نهائي من أجل سلامة بناتها.. لكنها لم تفعل، كانت مترددة خائفة دوما من العواقب، كلما كانت تقوى وتصل للقرار النهائي بطرده من حياتها يكون هو هنا أقوى منها بخداعه ومراوغته، وذلك بتقمص دور المسكين النادم على أفعاله، الذي يدعي أنه المجنون الأَبْلَه، العَصَبِي من صغره، الذي لا لوم عليه.. ويكون هنا قد سبقها بخطوة كبيرة من خلال إثارة شفقتها بطريقة خادعة غير مباشرة.. فتعود من جديد لنقطة الصفر حيث بدأت، وهكذا استمرت حياتهم على هذا الشكل الأعوج!

تقول الفتاة (الضحية التي ذُكرت من قبل):

أما أختي مسكينة هي الأخرى.. كانت أقل تعرضا للضرب لكنها أكثر ضررا من الجانب النفسي، لم نكن كباقي الأخوات، كنا كالغرباء البعيدين في بيت واحد، كانت بعيدة عني وعن الكل..

تسبح في عالمها الخاص الخيالي، لطالما كان الوسيلة الوحيدة لكي تهرب من واقعها المؤلم ولا تصطدم به أبدا حتى أصبحت منفصلة تماما عنه، تود دائما الانفراد بنفسها بغية محاولة نسيان واقعها، كانت ترفض ذلك الواقع وتلك العائلة وذاك الأب، كلما ذكرنا اسمه قالت: «أكرهه فوق الكره كرها.. لا أطيق رؤيته أمامي.. أتمنى لو تُحَقَق أمنيتي ويموت هو، حينئذ تعود لي الحياة..»

كان هذا الشريط الأول ربما يشبه قصة الكثير منكم..

بعنوان «أم بدور أب و يتامى رغم وجود أب..»..

غياب الأب عاطفيا وحضوره الباهت، يخلق في قلب الطفل أرضا خواء ومساحة شاسعة من الفراغ.

الأب المدمر والأم الغائبة عاطفيا!

الوحش الذي يسكن أبي:

ماذا عن أب جاف عاطفيا، عديم الإحساس.. إنسان خالٍ من المشاعر، شخص لا يؤمن بالعواطف.. من وجهة نظره يرى الحياة نظاما وتحكما.. يراها تشددا والتزاما بما جاء في القوانين التي غرسها هو في عقول عائلته..!

التعاطف في نظره هو تلبية الاحتياجات المادية فقط!

تقول إحداهن:

(الضحية رقم ٢)

منذ صغري وأنا أعاني من الوحدة بالرغم من وجود عائلة.. لكنها عائلة بالاسم فقط!

دائما ما ينتابني الشعور بأني يتيمة رغم وجود أم وأب حولي.. لكن قلت حولي لم أقل معي.. كنت أشعر بالفراغ الداخلي رغم زحمة المكان، الشعور بالخواء كاد يقتلني ببطء.. أبدو وكأنني أضعت شيئا ثمينا منذ ولادتي لم أجده قط.. شعور أن شيئا ما ينقصني لا يريد أن يزول أبدا.

كان أبي عصبيا جدا ومتشددا.. دائما يحرص على غرس أفكاره ومعتقداته في عقولنا!

أفكار مثل أنني أنثى ومكاني المطبخ.. وأن لا يكون لي طموحات أسعى إليها ولا أحلاما لأحققها.. وليس لدي أي حق في أن تكون لي أراء خاصة ووجهة نظر مختلفة! لا يحق لي أن أدافع عن أفكاري حتى.. وإن فعلت فأنا البنت العاقة والعدوة لأبي.. كبرت على معتقدات خاطئة وأفكار جاهلية.. والمؤسف أنني أدركت ذلك مؤخرا.

يثرثر بالدين ويتكلم عن الأخلاق لكن أسلوبه مناف تماما لما يقوله.. هل الدين يحث على العنف؟!

كان أكثر من عنيف بل شديد القسوة، عديم الرحمة يمارس العنف في أبشع الصور..

في الكثير من الأحيان كان يسلمني للموت، لا يبالي وهو يراني ألفظ أنفاسي الأخيرة.. لاتزال آثار الضرب في كل منطقة على جسمي تؤلمني.

لم أنس أنه كان يضربني دون أسباب واضحة، وينفجر في وجهي غاضبا وأنا لست أدري غلطتي..!

أمي الغائبة عاطفيا:

أما عن أمي فكانت تنتظره حتى ينتهي من تعنيفي وتأتي هي الأخرى لكي تتمم ما تبقى له من مهام لهدمي وتحطيمي بالسب والشتم وأحيانا بالضرب..!

نعم هذه أمي، لا تختلف عن أبي في شيء مثله تماما.. يشتركان في القساوة والأنانية لكن لكل منهما طريقته الخاصة في التعبير عن ذلك.

عشت طيلة حياتي وأنا أحاول إرضاءهما مهما كان الثمن.. لربما سأنال حبهما يوما ما وأصبح الإبنة المرغوب بها.. وأتلقى المدح منهما على كل ما بذلته من جهد من أجلهما.. أردت أن أسمع كلمة «أحبك» وهي تتردد في أذني..

كنت بأمس الحاجة للاحتضان.. أفتقر إلى الاهتمام.. عندما كنت أمرض وألزم الفراش، لم أجد أمي بقربي تحن علي.. لم أشعر بحنان يديها على جبيني لكي تطمئن أن حرارتي قد انخفضت.. لم أسمعها وهي تقول «أنا بجانبك يا صغيرتي»، لو سمعتها وهي تنطق بهذا الكلام آنذاك أقسم أنني كنت سأشفى في تلك الدقيقة.. للأسف لم أرَ خوف الأمهات في عينيها قط! كانت باردة اتجاهي، بل جافة عاطفيا مثل أبي تماما.

أصبح ابنتها فقط عندما ألبي طلباتها التي لا تنتهي.. تعتبرني مجرد طفلة أنجبتها لهذه الدنيا لتخدمها لا أكثر..!

تصيبني اللهفة كلما قابلت شخصا حنونا، أشعر كأن المساحة الفارغة داخلي قد امتلأت.. أتلهف للحنان وكل أشكاله، ربما هذا ما جعلني فريسة سهلة للصيادين! كنت أشكو نقصي لكل العابرين لعل يأتيني الاهتمام الذي أريده، لطالما بحثت عنه طيلة حياتي ولم أعثر عليه بعد.

كنت أعانق كل عابر في طريقي وأتسول الحب من كل سائل يسألني عن حالي.. من يلقي علي السلام أعتبره معجبا بي.. والمعجب أظنه محبا.. كنت أعيش في الأحلام متخيلة أن الأمير المنقذ الذي يحكى عنه في القصص سيأتي ويدق بابي ويغمرني بالحب والاهتمام، وهذا ما كنت أريده حقا.. لكن أدركت مؤخرا أنني لست أريد بل كنت أحتاج والفرق بينهما كبير للأسف..!

قبل فتره قصيرة، بدأت أصطدم بالواقع وأرى ضعفي.. حينها أدركت نقصي ومدى هشاشتي النفسية.. بدأت الكثير من التساؤلات تتسلل إلى ذهني.. كدت أغرق في قاع التناقضات..

كلما كنت أنظر إلى نفسي في المرآة أشمئز من شكلي وألعن ملامحي، لطالما كنت غير مرغوبة بين عائلتي.. لاتزال تلك الأصوات اللعينة تتسلل إلي.. أسمع صدى كلماتهم ترن في أذني.

أمي تقول: شكلك ليس كباقي البنات.. أنت ممتلئة البدن.. لا يليق بك هذا الفستان.. الفتيات كلهن نحيفات إلا أنت.. إياك أن تكثري في الأكل.

أبي يقول: الأكل لا يجوز لك في هذا البيت وأنت بهذا الوزن، سأمنعه عليك.. صرفت على أكلك أكثر من صرفي على أي شيء آخر.. لقد سئمت من هذه الحالة.. إرتدي هذا ولا ترتدي ذلك..

هذا ما جعلني أكره نفسي وأشعر دائما أنني عبء ثقيل على أهلي وأنني شخص غير مرغوب فيه.

أحيانا أتساءل بيني وبين نفسي هل مشكلة شكلي كان العائق بيني وبينهم؟ أهذا هو المشكل الذي منعهم من حبي؟! أيعقل هذا؟! أم أن حساسيتي المفرطة كانت ذنبا أيضا؟ أحيانا أقول ربما الذنب ذنبي..

لا أعلم لكن لم أجد تفسيرا آخر لمعاملتهم القاسية تلك.. وبعد كل هذه التساؤلات أعود للسؤال الوحيد الذي أردده كل ليلة «ما ذنبي أنا؟ ما ذنبي؟!

ظننت أني سأجد الحب خارجا وعدت كالمتسولة الخائبة التي لم يعطوها قرشا واحدا..

وأنا أقول:

من لم يتدفأ من قِبَل عائلته، سيظل يرتجف مهما غمرته بالدفء.

ومن لم يذق طعم حب الأهل، سيبقى جائعا للأبد.

وداعاً لحياة أُدينت بالإعدام

لا أحد يستحق أن يُترَك في منتصف الطريق..

الهجر بكل أنواعه قاسٍ، والفراق بجميع أشكاله صعب.. لكن الأقسى من ذلك هو رحيل الأم..! ترحل وصورتها مازالت محفورة في ذاكرة صغارها.. لاتزال حية لكنها ماتت في قلوب أطفالها!

«هِجْرَان الأم لأولادها أشبه بالقتل».

شيئان لا يلتقيان أبدا، الأمومة والهجران! شيء لا يصدقه العقل! هل تستطيع الأم أن ترتكب مثل هذه الجريمة؟!

ماذا لو ماتت الأمومة؟

تقول إحداهن:

(الضحية رقم ٣)

دائما ما ينتابني الشعور بالنقص وكثيرا ما أمقت ذاتي.. كلما نظرت لنفسي ولمحتها على المرآة، أرى شخصا ضعيفا مثيرا للشفقة.. نعم كنت أشفق على نفسي وحالي، فلا أستطيع أن ألوم نظرة الآخرين لي، أنا التي تم تركها وهي طفلة لا تفهم من الحياة شيئا!

فكيف لا يشفق المرء على نفسه وهو الذي يشعر أن لا أحد يريده! الجميع أقفل أبواب الود في وجهي.. هجروني ورحلوا حتى

والدتي، لا تزال لوعة الحزن تنهش روحي.. لاأزال أتذكر اليوم والساعة والدقيقة التي تركتني فيها أمي ورحلت دون أن يرف لها جفن، مازلت أتذكر نظرتها الأخيرة التي أخبرتني أنها لن تعود أبدا، وخطواتها السريعة التي أكدت لي آنذاك أنها لا تريد البقاء، وأيقنت أنني لا أعني لها شيئا حين سمعت نحيبي وصوتي المرتجف وهو يناديها: «أمي، لا ترحلي أرجوكِ» ولم تكترث أبدا. سارت دون الرجوع بخطوة واحدة حتى.. رحلت دون أي ذرة ندم.. ألم يقتلها تأنيب الضمير؟ أم أن ضميرها مات في تلك اللحظة!

وأنا أمسح دموعي المنهمرة إذ بي أجد أبي منبطحا أرضا، مجمدا في مكانه و دموعه حبيسة.. لن أنسى نظرته التي أعلنت الاستسلام من الحياة.

ظل يردد: «خسرت كل شيء».. «خسرت كل شيء»، كانت هذه آخر كلماته كشخص طبيعي!

طبيعي.. الإنسان يعتقد أنه خسر كل شيء عندما يفقد حب حياته.. نعم كانت أمي حب حياته، بل كان يعتبرها الحياة بأسرها، لطالما كانت قصته التي يرويها لي دائما قبل النوم.. كنت أرى الحب الصادق في عينيه، فعلا أحبها كثيرا وبشدة، لكن ما يؤسفني حقا أنها لم تبادله الشعور ولو قليلا.

لقد تم تزويجها قسرًا من شخص لا تُحِبّه وهو أبي.. أمي كانت فائقة الجمال، مثقفة ومستقلة بذاتها، كل من يراها يعجب بها

من أول نظرة، أما أبي فكان خارج توقعاتها.. لم يكن يشبه الفارس الذي رسمته في خيالها، لكن القدر لعب بها واختاره زوجا لها بقرار من جدي فلا كلمة بعد كلمته تُقَال.

كانت الحياة مع شخص لا تطيق رؤيته صعبة عليها، حاولت بكل الطرق أن تتقبله لربما تستطيع أن تعتاد على وجوده وتُحِبّه يوما ما، لكن للأسف لم تنجح في الأمر.. كان حبا من طرف واحد، أبي الطرف الذي كان يحاول كسب حبها ونيل رضاها، هو كذلك كان يتألم في صمت، تعب وهو يحاول، تعب من كونه الطرف المُحِب.. نيل حب أمي كان حلما بعيدا بالنسبة له.. كان يخبرها أنه راضٍ وسيحبها في جميع حالاتها حتى لو ظلت ترفضه مدى الحياة، رغم أنه يعلم أنها لن تحبه أبدا، رفض الطلاق منها وتواطأ مع حالة المتعب الراضي، كان يكفيه رؤيه وجهها كل صباح وتأملها كل مساء.. أما أنا كنت بالنسبة لأمي رمز وجعها، لطالما كنت قطعة من الشخص الذي تمقته، كلما رأتني تذكرت قدرها السيء، حاولت مِرارًا أن تحبني وتمنحني حنان الأمهات وتنسى ماضيها لكنها لم تستطع، ظلت تنتظر السنين أن تمر ويحين الوقت لتدق أجراس الرحيل، ومرت السنين وحان الوقت المنتظر.. ظنت حينها أنني كبرت ويمكنني الاعتماد على نفسي الآن ولستُ بحاجة لوجودها.. لم تستطع أن تتحمل أكثر من ذلك، إعتذرت وأخبرتني أنها ليست مذنبة هي فقط جريحة.. ولا تريدني لأنني أذكرها بماضيها.

كانت لحظة إدراك مؤلمة، كانت ضحية لزواج إجباري وأصبحت بالنسبة لأمي رمزا للوجع.

هذا ما فهمته من رسالتها الأخيرة التي تركتها تحت وسادتي.

بعد يوم من رحيلها، لم أجد أبي نفس الشخص، لم يعد أبي الذي أعرفه قط.. بدأ يذبل يوما بعد يوم، وبعد أيام ضئيلة أصبح يلقب بالمجنون، يركض في الشوارع ضائعا، يمشي في الليالي الحالكة والبرد القارص باحثا عن أمي في كل مكان.. كانت كل يوم حالته تزداد سُوءًا، تَارَةً يعرفني وتَارَةً أخرى ينكرني.. مَرَّة يعاملني كابنته ومَرَّة يدفعني خارجا كالغريبة.. أصبحت خائفة تحت سقف بيتي، أتوقع في أي لحظة أن يطردني خارجا، فعلا قد تَلِفَ عقل أبي بعد رحيل أمي.

صبرت على حاله وتغاضيت عن أفعاله لربما سيعود لي أبي الذي أعرفه غدا.. ظننت أنها فترة وستزول، لكن كنت مخطئة بظني، فقد ساء الوضع وساءت معه حالتي.. أصبح الجميع ينظر لي نظرة شفقة.. وأصدقائي ينادونني «بابنة المعتوه»، كنت أموت ألف مرة في اليوم عندما أسمع هذا الكلام يتكرر في أذني.. تخلى عني الجميع، تمادوا بالكلام الهدام.. لا مأوى لي أختبئ فيه ولا أدري أين الملجأ الذي أهرب إليه.

لم أجد كتفا أسند رأسي عليه ولا حضنا يمنحني الدفء، لم أجد الأمان في أي مكان..

أصبحت وحيدة في دنيا مخيفة كلها ظلام.. فقدت لذة الحياة في سن الزهور، فمن الذي يرغب بحياة كهذه؟! غابت عني كل الأشياء التي تهديني الرغبة في الحياة، لم يوجد شيء يدفعني للعيش أكثر.. فلماذا أعيش ولمن؟

إذًا وداعًا للحياة وكل ما فيها، ووداعًا لروح لن يحزن على فقدانها أحد..

كل ما هو مكتوب فوق كان رسالة من الضحية قبل انتحارها.

لو يُدْرِكْنَ الأمهات حجم الألم الذي يَتْرُكْنَ في قلوب أطفالهن بعد رحيلهن ما كُنَّ فَكَرْنَ بالرحيل أبدا.

الهجر بكل أشكاله وألوانه جائز إلا هِجْرَان الأم لأطفالها ذنب لا يُغتفر.

عندما تصبح الأم عدوة الحياة

كم هي صعبة الحياة عندما تكون الأم الخصم فيها، فبدلا من ضخ التشجيع وزرع الأمل في نفوس أطفالها، تقوم بإخْماد تلك الأماني المزروعة في قلوبهم وتقتل شغفهم في الحياة! مؤلم حين تُقْتَلَعُ روح الأمومة من الأمهات، هل الأم مجرد اسم تحمله اللواتي ينجبن أطفالا فقط؟

ألا يُقَال أن الأم هي السند والدعم الأول لأبنائها؟ أليست سعادتها تكمن في نجاحاتهم وتحقيق أحلامهم؟

يُقَال أن الأم أكبر أحلامها هو رؤية أبنائها ناجحين، فنجاحهم من نجاحها، حيث يلبسها الفرح ويُشعرها بالفخر والاعتزاز، ويتلبسها الإحساس أن تعبها لم يذهب هَبَاءً، إنما ما زرعته من حب وتشجيع ودعم حصدت منه نتائج عظيمة.

لكن ماذا لو هذه الأم زرعت في نفوس أطفالها الجهل وألبستهم ثوب الضعف وزرعت فيهم روح الاستسلام والفشل من البداية؟ ماذا لو غرست أفكارا جاهلية بالية في عقولهم؟ ماذا لو كانت الأم هي العدو الخفي لأبنائها؟

يا تُرى ما الذي ستحصده في نهاية المطاف؟

تقول إحداهن:

(الضحية رقم ٤)

كنت فتاة شغوفة ذات طموحات كبيرة وآمال عظيمة، أحمل معي شغفا كبيرا في الحياة، مفعمة بالأحلام، لكن كنت أدفنها داخلي لا أبوح بها لأحد حتى لأمي، لم تكن تحب مثل هذه الحوارات، لم تكن تعلم أن أكبر أحلامي كان جعلها تفتخر بي يوما ما، أليس هذا ما تريده كل أم؟ أحيانا أجلس أحدق بأمي وأقارنها مع الأمهات الأخريات وأقول بيني وبين نفسي: ما خطب أمي؟ لماذا ليست كبقية الأمهات؟ لماذا لم أرَ فرحتها في أول يوم دخلت المدرسة؟ لماذا لم تسعدها أول علامة ممتازة لي تحصلت عليها في اللغة العربية؟! لم أذكر يوما أتت فيه لتنتظرني أمام باب مدرستي لكي أخبرها كيف قام جميع زملاء الصف بالتصفيق علي! جميع الأمهات كن يتواجدن في حفلات التكريم ونيل الجوائز وفي المسرحيات ويوم المعدلات إلا أمي.. كان الجميع يسألني عنها ولم أجد إجابة مقنعة غير الكذب، مثل أنها منهمكة بمشاغل الحياة وليس لديها وقت لتأتي، كانوا كلما يسألونني عن أمي أخبرهم عن أبي، لطالما كنت في كل مرة أدير فيها رأسي لأبحث عنها أجده هو القادم ليست هي.

وجدت أبي معي في المواقف التي كان لابد من أمي أن تكون هي الموجودة، وجدت أبي بجانبي في لحظات احتجت فيها إلى

أم.. أبي كان شَخصًا طيبًا وأبًا جيدًا وزوجًا مُطِيعًا خاصة، يطيع أوامرها ويُلبي طلباتها، لكن لاحظت أن الحب هو الشيءالوحيد الذي لم أره بينهما، تزوجا في سن المراهقة.. مراهقة شبه أمية وشاب غير مسؤول، تزوجا لا يعرفان بعضهما فكنت أتساءل كيف يتزوجان دون حب؟ وفي هذا السن؟

كان يبدو لي دائما أن أبي ضعيف الشخصية، أشعر وكأنه مملوء بالمشاعر المكبوتة، لا أعلم لماذا يراودني هذا الشعور، لكن جميع المواقف التي نشبت أمامي أكدت لي ذلك.. أما الندم كنت أراه على جبين أمي مكتوبا، دائما تبدو لي وكأنها لا تكترث لأبي ولا يهمها أمره بتاتا.

كانت القصة مبهمة و كأن شيئا ما مكنون.. سأعود لقصتي الصعبة مع أمي، كانت علاقتنا كل يوم تزداد تعقيدا، لم أفهمها قط..

كنت أركض فرحا إليها حين أتحصل على علامات جيدة وإذ أجدها تقابلني بوجه عابس ونظرة لوم، كانت تكتفي فقط بإلقاء كلمات الشتم علي، كلما أنتظر منها ردا يلبسني ثوب الأهمية تصدمني بقول: «توقفي عن هذا الهراء وانصرفي لتكملي تنظيف المنزل».

لا بأس، كنت دائما أتوقع هذه الردود اللاذعة، كانت تكرر الأمر يوميا، اعتدت على طحن الخواطر..

صعب الشعور حين تغيب الأم عاطفيا رغم أنها حاضرة في كل مكان و قريبة منك، والمؤلم حقا أن حضورها كان يهدد حالتي النفسية بدلا من تَهْدِئتها.

في الحقيقة، الأمر لا يقف عندي فحسب، حتى أخواتي أخذن نصيبا هائلا من برودها العاطفي ومعاملتها البعيدة عن الأمومة! لكن تبقى مشكلتها الكبرى معي، وعدوتها الأولى أنا.. هكذا كانت تشعرني، ربما لأنني قَطَعت حبل القيود الذي خنقت به أخواتي، جعلت من أختي الكبيرة فتاة ضعيفة خاضعة، قتلت روح الشغف فيها وألبستها ثوب الضحية، فأقنعتها أن مصيرها محتوم بالزواج ولا فائدة لتعلمها.. أما أختي الصغرى فأهبتها لذلك أيضا وأقنعتها أن مصيرها كأختها لا مفر منه.. أما أنا خيبت توقعاتها وأصبحت بالنسبة لها الإبنة العدوة التي تجاوزت حدها بإفناء تلك الأفكار التي نجحت بغرسها لأخواتي وفشلت في غرسها لي.. ثم اعتبرتني آنذاك الإبنة العاقة وجعلتني عدوة لها.

كلما اقتربت من أمي كانت نظراتها تُخيفني بشدة، نظراتها تشبه نظرات العدو عند الانتقام، حقا كنت أشعر أنها تريد الانتقام مني فأصبح الخوف يتلبسني كلما اقتربت منها، في كل مرة كنت أحاول إصلاح علاقتنا وأفهم ما سبب هذه الفجوة بيننا كانت إما تتجاهلني أو تنفجر كالبركان علي بكل ما تحمله من غضب اتجاهي.. في ذلك الوقت تعبت نفسيا، شعرت أن الحزن اِنْصَبَّ على قلبي.

لم تكتفِ بجعلي عدوة لها فقط بل جعلتني عدوة لأخواتي أيضا، لكن شعرت أن كل الحقد قبع في قلب أختي الكبيرة، وتوسعت الفجوة بيننا شيئا فشيئا وأخذ يزداد ذلك الحقد وتلك المرارة مع مرور الأيام، فقط لأنني أردت أن أنقذها من التيه والضياع التي كانت غارقة فيه، فعلت كل ما بوسعي لأوقظها من سباتها، رأيت مستقبلها يضيع أمامي ومن هدمته بيديها كانت أمي.. أقنعتها بالزواج من شخص يكبرها سنًا في عمر والدها تقريبا، ثم أرضتها كذبا بأنها ستكون سعيدة مع هذا الرجل الغني وأن هذا هو قدرها ومصير كل فتاة مثلها الزواج، كدتُ أجن آنذاك ولا أحد باستطاعته إيقاف هذا الظلم حتى أبي، حاولت مرارًا أن أشرح له أن ما تفعله أمي بحق أختي وبحقنا ظلم عظيم، لكن لم يبالي بشيء واكتفى بقول: «تبقى والدتكم وتحب لكم الخير وتعرف أين هي مصلحتكم جيدا».

فوافقت أختي على طلب الزواج لترضي أمي ظنا منها أن الأم قراراتها صحيحة دائما، لم تكن حينها واعية أنها وافقت على تدمير حياتها ومستقبلها وعمرها بأكمله.. لم أستطع فهم أختي جيدًا آنذاك، بدت وكأنها تحت التخدير، كانت تنظر إلينا نظرة التائهة الحائرة، لم أجد وصفا يليق بحالتها غير كلمة ضائعة، لم تكن أختي التي أعرفها.. أين اختفت بهجتها ومتى رحلت ضحكتها وفرفشتها؟ وماذا عن الأحلام التي حلمنا بها معا حتى طلوع الفجر؟ أين هي براءتها؟ اشتقت لروحها البريئة التي غادرتها وربما

للأبد.. أذكر يوم زفافها، رأيتها تبكي في الخفاء خوفا من أن يراها أحد، لكن رأيتها أنا وقلبي احترق حينها، فذهبت لها وحاولت إقناعها ثانية لربما تغير قرارها في آخر لحظة لكن كل ما قلته لم يجدي نفعا، فقط أجابتني قائلة: «هذا هو نصيبي من الحياة يا أختي، وكما قالت أمي إنه القدر، سأكون سعيدة لا تقلقي». أين هي السعادة وأنا بعينيّ رمقت الخوف يعتريها وسمعت الرجفة في نبرة صوتها وهي تنطق بتلك الكلمات!

يا حسرتي ويا أسفي عليها.. مسكينة هي أختي كان نصيبها من السعادة ضئيلا، وربما الأيام التي كانت سعيدة فيها تعد على الأصابع.. هي تزوجت وأنا اعتبرتها في ذلك اليوم قد دفنت وهي حية..

شعور أنني خسرت أختي هدّ كياني، وتحطمت إلى قطع عندما أدركت من زرعت هذه العلة كانت أمي..

أما أنا فمصيري كان الحرمان من رؤية أمي، والسبب أنني رفضت أن أكون ثاني ضحية، فعندما حان دوري لأصبح الضحية الثانية رفضت ذلك وواجهتها.. ثم قامت حينها بإعلان الحرب ضدي، وهددتني أنها ستحرمني من رؤيتها وتعزلني عنها للأبد وفعلت ذلك حقا دون رحمة، فأرسلتني إلى جدتي وحرمتني من رؤية عائلتي.

ربما قدري كان أسوأ من قدر أختي كثيرا، لست أدري ما الذنب الذي اقترفته بحقها لتعاقبني بمثل هذا العقاب القاسي، لكن رغم كل ما حدث لاأزال أشتاق لها دائما وروحي تتوق رؤيتها.

يا ليت قدري كان مختلفًا، وليته لم يحرمني من أكثر ما أنا بحاجة إليه في هذه الحياة.

ربما حُرِمْتُ من الكثير من الأشياء في هذه الحياة لكن أن أُحْرَمُ من رؤية وجه أمي كان هذا أسوأ حرمان وأقسى امتحان.

الرئيسة أمي والقائد أبي

ستختلف المعاناة إذا كان بطل القصة (الضحية) شاب.. هنا تصبح مأساة من نوع آخر.. حينها يكون الوجع خافتا، الصدمة مكنونة والجرح عميقا!

لقد شاعت فكرة أن الشباب معروف عنهم أنهم عديمو الإحساس.. والأغلبية يتهمونهم بعدم الشعور وأنهم أقل تأثرا وأكثرهم جمودا.. وهذه الفكرة خاطئة تماما، في الشعور لا فرق بين رجل وامرأة، كلنا بشر خُلِقنا بقلب نشعر من خلاله.. نتأثر، نحزن، نفرح ونتألم.. ونستشعر غيرها من الأحاسيس.. حتى أنها أوضحت الدراسات النفسية أن الرجال يتأثرون عاطفيا أكثر من النساء، وقد يتأثر الشاب أكثر حين الأمر يمس كرامته، ويفقده رجولته.

كلمة واحدة فقط كفيلة بأن تدمر الشاب نفسيا لأنه بطبعه محلل، يحلل كل كلمة تقال له.. خصوصا في مرحلة المراهقة، الحذر ثم الحذر.. لأن المراهق يكون حساسا نوعا ما.

بكلمة تستطيع أن تصنع منه شخصا سويا، وبكلمة أيضا تستطيع هدمه وتدميره! وهذا يعود لأكبر المسؤولين ألا وهما «الوالدان»!

يقول أحدهم:

(الضحية رقم ٥)

أنا شاب في مقتبل العمر.. والحفيد الوحيد لعائلة أبي الكبيرة، وهذا ما جعلني مقيد بحجة المسؤولية وأنني الرجل الوحيد للعائلة.

درست وتخرجت ثم نلت الشهادة التي أرادتها أمي.. وأنا الآن أعمل في محل أبي، لطالما كان حلمه الوحيد هو رؤيتي مسؤولا ومتكفلا بكل شؤونه.. وأنا حقا نجحت في أن أكون ما أرادا، لكن إذا سألني أحد هل فعلت يوما ما تريد أنت!؟ لرديت عليه بـ «لا «، للأسف ليس لي الحق في ذلك.. لا أتذكر آخر مرة فعلت شيئا من أجلي.. اِعتدت دائما أن أسلك الطريق الذي يخالف رغباتي.

عشت طيلة حياتي غير راضٍ بواقعي.. ولست راضٍ بما أنا عليه الآن.. كلما أنظر لنفسي في المرآة، أرى شخصا خائبا، خابت آماله وحُطِّمت أحلامه.. أتساءل بيني وبين نفسي «هل أنا حقا أنا؟! هل أصبحت حقا الشخص الذي حلمت أن أكونه؟ أم أنني نسخة عن ما أرادوه هم؟!».

لم يكن حلمي شهادة لأتبجح بها أمام معارف أبي وصديقات أمي، ولا العمل في محل أبي والتكفل بشؤونه لكي أثبت للعالم أني مسؤول.. لم أكن أحلم بهذه الحياة قط، كانت أحلامي بسيطة مثل أنني أبدأ بفعل شيء أريده حقا كدراسة تخصص أرغبه، ثم أجرب الغناء.. منذ صغري وأنا أحبه، كنت أود أن أجرب شعور

القيام بشيء أرغب به حقا.. حلمت أن تكون لي عائلة داعمة لأحلامي، تؤمن بي وتدعمني في كل خطوة أخطوها للأمام.. عائلة ليس همها الوحيد المال ولا الركض وراء المصلحة.. حلمت أن أحب بشكل جميل كأي شاب يريد أن يُحِب ويُحَب.. لكن حياتي تنافت تماما مع أحلامي، لم تكن بالشكل المستقيم الذي رسمته.. أما عني فأنا محجوز لأم تحتلها الأنانية وأب خاضع لأوامر الرئيسة زوجته.. أجده يسعى دوما لتنفيذ رغباتها، في حضرتها القرار يعود لها فقط.. تسعى دائما لإسعاد نفسها والتباهي بما تملكه من حلي وذهب وسيارات فارهة وغيرها من الأشياء المادية الفاخرة.. أما عن أبي فقد سرقته الحياة منا وحلقت به لعالم الثراء والغنى بغية تحقيق أمنيات زوجته وتلقيبها بالزوجة الثرية، وهو الزوج العظيم المثالي في عين زوجته.. أما أنا فكنت بينهما عالقا، ضائعا دون هوية تمثلني.. باحثا عني وسط عائلة تسعى وراء الماديات فقط ولم تكتفِ.. ثم أصبحت أمامهما أنا الوسيلة الوحيدة للشعور بسلطتهما ونفوذهما أكثر.. فتسلطت علي أضواء المسؤولية والقيود.

أبي يقول: «ادرس هذا التخصص سوف يفيدك مستقبلا للعمل معي»، وأمي تقول: «لا يهمني ما ستدرسه قدر اهتمامي بتلك الشهادة الجامعية التي ستحصل عليها.. لكي أفتخر أمام جميع صديقاتي وأقهر أعدائي.. إياك أن تخيب ظني، إذا لم تنل الشهادة سأعتبرك لست ابني..».

فاخترت أن أرضيهما، لعلني أكون الابن المثالي المطيع في نظرهما وأكسب محبتهما، ربما سأنال هوية المرغوب فيه!

لكن للأسف لم يحدث ما توقعته.. مهما فعلت لم أصل للقبول والكمال في عينيهما، لم يقدرا ما فعلته وما بذلته من جهد.. لقد أجبراني على التنازل عن جميع الأشياء التي أردتها! وفي الأخير كانت جائزتي خيبة أمل عظيمة! ومنذ ذلك الوقت وأنا شخص خائب ماتت مشاعره، أصبحت شخصا يصعب عليه التنازل مرة أخرى ولأي شخص كان..

لم أنتظر يوما أن يحبني أحد، لطالما رفضني الأهل فمن الذي سأنتظر منه الحب بعد؟!

ما هو الحب؟!!

فأنا شخص جاهل به.. أتكمن حقيقته في تلبية الاحتياجات المادية فحسب؟! وكيف يبدو الإنسان المحب يا ترى؟!!

أنا لا أفهم بأمور الحب كثيرا..

يقال أنه تضحية وعطاء، يقال أن الحب مسؤولية وإظهار الاهتمام، لكني سيء في العطاء، لست متأهبا للتضحية، لا أجيد الكلام المعسول ولا تقديم الجهد، ضعيف أمام المواجهة، تعلمت أن أسلك الطريق السهل دائما وهو «الهروب».

لست مستعدا لتحمل مسؤولية الحب، هو الآخر على عاتقي..

هذا ما جعلني أحمل حقائب الرحيل كلما شعرت أن لابد لي من بذل مجهود وتحمل مسؤولية أخرى، فأنا أصبحت لا أطيق هذه الكلمة، وتعبت من كوني المسؤول دائما.. شيء مني أجبرني أن أفلت يدي من كل شيء.. أجبرني أن أكون ضعيفا..

على ما أعتقد الحب خُلق للشجعان ليس لشخص مثلي تقوده عائلته، محروم من التعبير عما بخاطره.. لقد اعتدت على كبت مشاعري والمغادرة بعيدا.

هذا ما فعلته بي عائلة فقيرة في الحب.. جعلت مني شخصا جامد المشاعر، في قلبي صحراء قاحلة، داخلي فجوة عميقة.. لقد أفعمتها بعلاقات عاطفية عابرة تحت مسمى الحب، فتعرضت للاستغلال من الأولى.. تحطمت ثقتي بنفسي آنذاك وشعرت حينها أن الخلل مني.. ظننت لوهلة أني وجدت الحب الذي يهديني هوية الشخص المرغوب فيه، فعدت خائبا وتضاعف الألم.. توسعت مساحة الفراغ داخلي.

فذهبت للثانية وقلت سأجرب مرة أخرى فقط لكي لا أشعر بأنني مهزوم أمام نفسي، فقمت باستغلالها بمجرد ما أفعمت أرض قلبي الخواء، وأهدتني هوية الشخص المرغوب فيه.. ولما شعرت أن الجرح قد التأم ما عدت بحاجة لضماد، تراجعت وتركتها.. لكني والله لم أقصد إيذاءها، لا ذنب لها ولا ذنب لي!

هي كانت بريئة و أنا جريح.. أعلم أني شخص ظالم.. ظلمت نفسي وكل من حولي..

عالمي أسود، يسود فيه الظلام في كل زاوية.. أجول وسط عتمة لا أعرف طريق العودة.. مع مرور الوقت أصبحت أنا المكان المُعْتِم لغيري، فمن الذي يرغب الدخول لمكان كله ظلام؟!

مظهري ثابت ولساني يقول أشياء بعيدة عن الحقيقة، أنطق دائما بالكذب: «أنا بخير.. أنا قوي.. لست بحاجة لأحد.. لا أريد الحب.. لا أرغب بأن يحبني أحد..»، بينما الحقيقة كانت بداخلي لا أحد يراها غيري.. داخلي يخبرني أنني ضعيف هشّ، أفتقر للأمان، أحتاج احتضانا والكثير من الاهتمام، أريد الحب لكن شيئا مني يمنعني، مظهري الخارجي ثابت وفي داخلي أرتجف خوفا!

أحيانا لسان حالي يقول: أنت على الأرجح شخص مختل نفسيا! نعم على ما يبدو أنني هكذا.. كنت الفكرة المخيفة والذكرى السيئة في حياة أحدهم.. زرعت الخيبات في أرواح لا ذنب لها.. أنا سيء!

كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ أصبحت شخصا سيئا لهذا الحد!

كرهت الأهل والبلد ونفسي أيضا.. الحياة وظروفي القاسية أجبرتني على الهروب بعيدا، حيثما لا يوجد ذكريات سيئة وخبايا مريعة.. لكني أينما ذهبت لم أستطع الهروب من نفسي!

وراء كل شخص قاسٍ.. طفل حُرِم من الحب والأمان!

ووراء كل شخص أناني.. طفل حُرِم من حقوقه وقُتِلت براءته!

لا يوجد شخص سيء بل يوجد شخص لم يرَ الحُسْن والرأفة من قبل والديه.

عندما تنعدم المسؤولية

(الضحية رقم ٦)

ما بين انعدام المسؤولية واللامبالاة نقف أنا وزوجي نادمين على جريمتنا التي لا تُغتفر، لم نستطع أن نحافظ على أمانة الله، لم نكن نستحق تلك المكانة الثمينة قط..

للأسف الشديد كنا أبوين فاشلين، الإهمال يسري في عروقنا، كنا جاهلين بالنعمة التي رُزِقنا بها..

لقد أسرفت في حب ذاتي والانشغال بها حتى نسيت دوري كأم.. لم أكن متأهبة لتحمل هذه المسؤولية على عاتقي، أو بالأصح كنت أرى الأمومة عبئًا، أما زوجي فهو الآخر كان أبا غير مسؤول، وجوده لا يُحدِثُ فارِقًا يشبه عدمه تماما، كنا مرتبطين بدفتر عائلي غير مبالين بالأسماء التي يحملها ذلك الدفتر، نسينا أن تلك الأسماء تعود لأطفال نحن من أنجبهم لهذه الدنيا!

أنجبنا أطفالا ورمينا بهم للشارع، ظننا أنه لا بأس في ذلك ولنكمل حياتنا في هناء وهدوء بعيدا عن صخب الأبناء وثقل المسؤوليات، لم نكن ندري أن الشارع الذي اعتبرناه نجاة وحلا يزيح عبء مسؤولياتنا سيأتي بآخرة أبنائي ذات يوم.

لن أنسى ذلك اليوم، ليلة الكابوس حين أتتنا الفاجعة.. أخذ قلبي يرتجف حين رأيت الشرطة والكثير من الناس يقفون أمام

بابي، حينها أخبروني أن أحد أبنائي انتقل إلى رحمة الله لإنقاذ أخيه، فقد قُتل على يد رفاق الفساد الذين كان على صلة بهم، كان الاثنان من الأخوين ضمن هذه العصابة التي تشارك في أعمال مشبوهة، وأخبروني أنه نشب شجار قوي بينهم، فحدث ما حدث وأخذ ابني طعنة سكين ومات.. أما ابني الثاني، فقد أخبروني أنه اعتُقل بتهمة قتل أحد أفراد العصابة بعد أن قتلوا أخاه أمام عينيه ولكي ينال عقاب جريمته، تم إدخاله إلى المؤسسة العقابية.

عشنا الوجع وجعين آنذاك، بسبب إهمالنا وانعدام روح المسؤولية فينا!

نحن من أشعلنا اللهيب، وبأيدينا قضينا على أرواح أبنائنا، بسبب أفعالنا فقدت ابني الأول رحمه الله، وسممنا طفولة ابني الثاني.. تلاشت براءته في اللحظة التي ارتكب فيها الجريمة ودخل السجن وهو لا يزال طفلاً!

شوهنا له أياما كان لابد أن يعيشها ملونة، وقمنا بإفناء روح بريئة ووضعناه تحت التراب بدلاً من جعله يعيش طفولة سوية ولحظات جميلة مليئة بالاهتمام والرعاية!

أنا على يقين أني سَأُحاسَب في الآخرة على تقصيري وإهمالي، وعلى عدم ممارستي الأمومة، سيسألني الله عن أمانته التي أضعتها عبثا، فأنا حقًا أستحق أشد العقاب.

بسبب إهمالٍ رأيناه بسيطًا، عشنا وجعًا عظيمًا وندمًا كبيرًا.

وما أصعب أن يشعر المرء بالندم في وقت متأخر حيث لا ينفعه شيء بعدها، فيكتفي فقط بقول: «يا ليتني فعلت، ويا ليتني لم أفعل».

فحقًا، لماذا لم تفعلوا؟ ولماذا فعلتم؟ ومارستم كل ذلك الظلم على من يجب أن يروا فيكم الأمان؟

إذا لم تكن غايتنا من الزواج بناء حياة أخرى آمنة مليئة بالدفء والعاطفة، فلماذا نفعل؟ وإن لم نكن ناضجين وقادرين على تحمل المسؤولية بما فيه الكفاية، لماذا ننجب إذا؟

أتستحق تلك الأرواح البريئة أن تعيش ضحية؟!

أنا أتساءل، لماذا يفشل الآباء والأمهات في منح الحب المطلق والاهتمام الكافي والأمان الدائم؟ والكثير منا يتساءل لماذا نجد الأغلبية تعاني من مشاكل نفسية وهشة من الداخل؟ وفي الحقيقة الإجابة تعود إلى ما تم طرحه في السؤال الأول، ببساطة لأن الآباء والأمهات قد يفشلون في منح ما يحتاجه الطفل أثناء طفولته.. للأسف لم يتم إشباع جوعنا العاطفي كفاية!

أحيانا نجد أنفسنا ضحايا لا ذنب لنا في أن نكون ما نحن عليه، لا ذنب لي في أن أكون شخصا لا يشبهني ولا ذنب لك في أن تصبح سيئا، نحن فقط حصاد ما زرعه الآباء والأمهات!

ربما كان من الممكن أن نكون مختلفين تماما عما نحن عليه اليوم، بشخصية قوية لا هشة، بشخصية مكتفية لا جائعة عاطفيا، فنجد أنفسنا نحاول أن نصلح ما أفسده آباؤنا وأمهاتنا لكن للأسف، الإصلاح ليس بالأمر الهين بل هو صعب جدا علينا. فما ذنبنا نحن في إصلاح شيء لم نفسده من الأساس؟

تذكر جيدا، إذا حرمت طفلك الاهتمام، جعلته يتسول الحب.. وإذا حرمته الحب جعلته ينبذ الآخرين.. وإن منحته القساوة، سيصبح قاسيا.. وإذا عرضته للعنف، جعلته وحشا.. وكلما أسأت إليه ستصنع منه شخصا سيئا..

إن غاب الأمان عنا ونحن صغار، سنصبح خائفين طيلة حياتنا.

هكذا تكون حصيلة الطفولة القاسية دائمًا.

ربما ما جعلني أكتب بشغف عن هذا الموضوع، وما جعلني أفهمه للغاية وأكون متأكدة من كل كلمة أدونها على هذا الورق هو تجربتي وغرقي في هذا النفق.

تدفقت كل كلمة في هذا الكتاب بشكل تلقائي، واحدة تلو الأخرى، دون الحاجة لتفكير طويل، وقد يكون السر في التجربة العميقة التي عشتها.

أشعر بصعوبة في هذه اللحظة قبل أن أبدأ بالاعتراف، ربما ما يدفعني لذلك هو الجرح العميق الذي ظل مكنونًا داخلي لسنوات

طوال، أو ربما لأنني الآن أكتب وأنا مدركة تمامًا لما أشعر به، مع وعي تام وقبول للحقيقة التي خجلت منها دائمًا وأنا ليس لدي أي ذنب في ما حدث.

أود أن أعترف أولاً أنني كنت في عمق إحدى القصص التي عرضتها لكم في هذا الكتاب.

أنا وجميع الضحايا الذين ذكرتهم هنا، وربما أنت أيضًا أيها القارئ الذي تحمل الكتاب الآن، تربطنا صلة واحدة وهي الألم المشترك، وربما يوجد هنا منكم من يشاركني القدر نفسه.

رغم وجود أمي، رغم حنانها الدافئ، رغم احتضانها لي واهتمامها بي، رغم كل ما قدمته لي، لكن كان في داخلي شعور أنه مازال شيء ما ينقصني، ربما لم يكفيني احتضان يغمرني بالحنان فقط، بل احتضان يشعرني بالأمان.

لم يُفعم الخواء داخلي بعد، شعور الخوف لم ينطفئ في قلبي، كأنني أضعت شيئًا ثمينًا أو غاب عني الشيء الذي باستطاعته محو خوفي لأعود طبيعية، لكنه أطال الغياب.

أمسكت بيد أمي وكنت بانتظار أن تمسكني اليد الأخرى، كانت يد أبي، لكنها لم تمسكني أبدا، ومنذ ذلك الوقت ويدي ترتجف! ثم دفعت الثمن غاليا جدا.

غياب أبي عاطفيًا مع حضوره القاسي جعل وجوده مصدرًا

للخوف، مما حولني إلى شخص جبان وخائف.. كانت شخصيتي ضعيفة للغاية، هشة إلى حد يجعل كسرها سهلاً.

كنت ضحية للتنمر ومصدرًا للسخرية، حيث كان الجميع من العائلة والأصدقاء والغرباء يسخرون من مظهري وطريقة حديثي، كنت كلما بدأت بالتحدث أتعثر في الكلام وأتلعثم، مما يجعل الجميع يسخر مني، لذا اخترت أن أبقى صامتة لأنني لم أكن أملك الشجاعة الكافية للمواجهة، كنت أكتفي فقط بالبكاء في الخفاء، وأتساءل داخلي: «ما خطبك يا منال، لماذا أنت هكذا؟».

كنت ضحية لكل الأمور السيئة، فمثلا مظهري الذي كان يسخر منه الآخرون، كان أبي من يختاره.. وخوفي وتوتري الدائم كانا من صنعه.. وصمتي كان نتيجة خوفي منه.. أما عطائي الفائض فكان ناتجًا عن احتياجي لشيء فقدته.

كنت أبحث عن أبي في كل شخص أصادفه.

لا أنكر أن هذه الاعترافات تؤلمني قليلاً الآن، لكنني لاحظت أن شعور الألم قد قل بعد تعايشي مع هذه الحقيقة. قررت أن أواجه نفسي بكل ما تحمله من عقد الماضي، وبعد أن سلكت سبيل المواجهة، بدأت أشعر بضعفي وأدركت أعطابي. ومن هنا، بدأت في إصلاحها شيئًا فشيئًا، لتبدأ رحلتي نحو الشفاء والتحرر من آلام الطفولة، حتى وصلت لبناء نسخة أقوى مني، تختلف تمامًا عما كنت عليه سابقًا.

حقيقةً، أنا لا أكره أبي مهما كان قاسيًا، يبقى الدم يربطني به دائمًا ويحن له. لكن أفعاله خلقت بيننا فجوات عميقة وجدارًا يمنعني من الاقتراب مهما حدث. في الكثير من الأحيان، أشعر بالامتغاض والقليل من الحقد تجاهه، وهذا شعور طبيعي نظرًا لما عشته.

ابنتك تعافت يا أبي، وتخلت عن ذكرياتها الموحشة التي جعلتها تعيشها، ورمت الحقد الذي كانت تكنه لك بعيدا، وتمكنت من انتشال قيود الماضي من روحها.

أبي، كنت وجيعتي الكبرى أما الآن أصبحت مفتاحًا فتح لي أبواب التغيير وبناء ذات قوية. ربما لم ترَ أبدًا الجرح الذي سببته لي ولم تشعر بضعفي وألمي، لكن أعدك أنني سأجعلك ترى قوتي وستشهد على نجاحي. ربما سأجعلك تندم قليلاً على ما فات وتجلس مفتخرًا بي سرًا.

لكل من يحمل هذا الكتاب الآن بين يديه، أو من يقرأ كلماتي عبر شاشة هاتفه، سيجد نفسه حتمًا داخل قصة من القصص التي ذكرتها سابقا، أو ربما سيشعر القارئ بأنه جزء من هذا العالم الذي أبدعته في كتاب يفيض بالحقائق والمشاعر.

ربما من يقرأ كتابي قد يكون أبا أو أما، وأعتقد أن الأغلبية منكم مراهقين ومراهقات. هذه الرسالة موجهة إليك أيها القارئ، لكن أود أن أسلط الضوء على آباء وأمهات المستقبل خاصة.

إلى أمهات وآباء المستقبل، ربما كان لديكم ماضٍ أسود ولم تحظوا بطفولة محببة تستحقونها، أعلم أن لا ذنب لكم في ذلك، فلا أحد يختار عائلته، لكن تذكروا أنتم من يختار عائلته الثانية وأنتم من يصنعها، أنتم فقط من يملك القرار حول ما إذا كنتم ستسمحون لأطفالكم بتجربة ما عانيتموه في طفولتكم، أو إذا كنتم ستصنعون لهم حياة جديدة مليئة بالذكريات الجميلة.

فكونوا الحضن الدافئ لهم، وكونوا الأصدقاء الذين يستمعون إليهم دون حكم، تذكروا أن كل كلمة تقولونها وكل فعل تقومون به يترك أثرًا عميقًا في قلوبهم، اجعلوا من منازلكم مكانًا مليئًا بالحب والاحترام، وكونوا دائمًا داعمين لأحلامهم وطموحاتهم.

ومن كان يعاني من مشاكل نفسية، فليتوجه نحو الشفاء أولاً، لأن الصحة النفسية هي أساس القدرة على تقديم الحب والدعم لأبنائكم، لا تترددوا في طلب المساعدة، فالتعافي هو خطوة مهمة نحو بناء حياة مليئة بالذكريات الجميلة.

«لا تدع ماضيك الأسود يلوث مستقبل أطفالك».

«لا تستحق البراءة أن تموت مبكراً».

الفهرس

إهداء..... ٥

مقدمة..... ٧

تنويه ٩

شريط الحكايات ١١

رحلة البحث عن قاتل البراءة ١٣

قاتلو البراءة ١٨

باب الحكايات ١٩

أب عديم الأبوة..... ٢١

الأب المدمر والأم الغائبة عاطفيا! ٢٩

وداعاً لحياة أُدينت بالإعدام ٣٤

عندما تصبح الأم عدوة الحياة..... ٣٩

الرئيسة أمي والقائد أبي..... ٤٦

عندما تنعدم المسؤولية..... ٥٣